شواذّ الخَلْق

المراد بشواذّ الخلق كل ما شذّ عن المألوف في نوعهِ بزيادةٍ او نقص في اعضائهِ او اختلافٍ في بعض اشكالهِ او تخاذُل في خلقتهِ وهو ان لا يكون بعض اعضائهِ مناسباً لبعض او غرابةٍ في منظرهِ بأن يتجاوز الحدّ في الضخامة او الدمامة الى غير ذلك مما سيذُكَر. ولم نجد في اللغة لفظاً يعبر بهِ عن هذا الضرب من المخلوقات ولعل اقرب ما تسمَّى بهِ الهُوَل بضمّ ففتح جمع هُوْلة بالضم والاسكان وهي كل ما هالاك او ما كان كريه المنظر يقال ما هو الا هُولةٌ من الهُوَل. وكلا المعنيين يوافق معنى اللفظ المستعمل لهُ في لغات اوربا[١] فانهُ يراد بهِ كل ما كان مخيفاً او قبيح الشكل تشبيهاً لهُ بالخلائق المذكورة لما فيها من البشاعة الناشئة عن غرابة منظرها ولانها كانت فيما سلف داعية عندهم للخوف اذ كانوا يحتسبونها من الخوارق السماوية المنذرة بضروبٍ من الويل

وقد طالما كان امر هذا الشذوذ شغلاً شاغلاً للحكماء والطبيعيين فخبط فيهِ علماء العصور المتوسطة ومن يليهم الى القرن الثامن عشر خبطاً غريباً وركبوا كل مركبٍ من التخرُّصات المحاليّة وادخلوا تحتهُ كل غريبٍ من الخلائق الوهمية كرجلٍ برأس كلب او جسم فيل او غير ذلك مما تصوّرهُ

(١) المراد بهذه اللغات ما كان منها مشاركاً للاتينية كالفرنسوية والانكليزية فان هذا اللفظ فيها monstre او monster ومعناهُ في الاصل اللاتيني الكاشف او المعلن وذلك لما ينذر بهِ من السوء على ما سيذكر

المتخيلة ولهم في تعليل هذه الخلائق ما لا يُحصَى من الاقاويل الخُرافية . وقد كان اليونان والرومان فيما مضى يوجبون قتل كل طفلٍ يولد على غير الخلقة الطبيعية تشاؤماً به وتفادياً من الشرّ الذي ينذر بهِ ولبث ذلك في عامة اوربا الى القرن السابع عشر . غير ان ريُولان احد الاطباء الفرنسويين في ذلك العصر ارتأى ان يُجتزأ عن قتل الأَعنش وهو الذي له ُست اصابع وصاحب الرأس الفاحش الكبر ومن ينشأ جبَّاراً او نُغاشياً بأن يعزَلوا الى موضع منفرد يكونون فيهِ محجوبين عن أبصار الناظرين

واول من تكلم في هذا البحث كلاماً معقولاً هو الدكتور هلَّر من اهل سويسرا في كتابٍ نشرهُ سنة ١٧٦٨ افاض فيهِ في الكلام على الشذوذ الخَلقيّ فوصف انواع هذا الشذوذ وصفاً علميًّا وميّز بين الحقائق والاوهام التي كانت شائعةً في ايامهِ ثم تبعهُ فلاسفة اهل التشريح فجزموا بأن الطبيعة تعنو في كل شيءٍ للنواميس المطلقة التي وضعها الخالق فلا تخرج عنها بحال واثبتوا ان كل ما يُعتبَر في ظاهرهِ شذوذاً عن تلك النواميس هو في الحقيقة منطبقٌ عليها وراجعٌ اليها وانما يُعَدّ شذوذاً بالقياس الى المألوف لا سوى

وقد قسم ايزيدُور جُفْرُوا سَنْتيلَار الشذوذ الى اربعة انواع اولها الشذوذ البسيط وهو ما كان في عضوٍ واحد او جهازٍ واحد او حالةٍ واحدة من احوال التركيب . وهو قد لا يعوق شيئاً من الوظائف الحيوية وحينئذٍ فهو يقوّم صنفاً من اصناف النوع كالعَنَش مثلاً وقد يمنع من تمام بعض الوظائف او يكون سبباً للزمانة وهذا يُعَدّ على الحقيقة من فلتات

الطبيعة كالحَنَف وهو انقلاب القدَم حتى يصير بطنها ظهراً وكالعاهة المعروفة بالقدَم السُنبكيّة اي الشبيهة بالسُنبُك وهو طرف الحافر ونحو ذلك . والثاني الشذوذ المركَّب وهو يتناول عدة اعضآء من الجسم في وقت واحد ولكنهُ لا يمنع شيئًا من الوظائف لان شذوذ الجهاز الواحد يُصلِح شذوذ الآخر بحيث انهُ لو انفرد احدهما دون الآخر لم يستقم كيان الشخص وهو لا يكون الا في الاعضآء الباطنة • وأول ما شوهد من هذا ما رآهُ مُورَنْد سنة ١٦٦٠ في رجلٍ من المصابين بالزمانة توفي بسنّ ٧٢ سنة فانهُ لما كشف عن باطن الجثة وُجِدت الكبد الى الشمال والطحال الى اليمين ووُجدت الرئتان والقلب والقناة الهضمية وجميع الاوعية والاعصاب المختصّة بتجاويف البنية مقلوبةً كذلك . والثالث الشذوذ المتداخل وهو في الغالب يُرَى من الظاهر ويكون باجتماع اعضآء الجنسين او بعض مميزاتهما في شخصٍ واحد . والرابع الشذوذ بحدّهِ وهو ما يشوّه الاشكال الظاهرة الى ما يخالف شكل بقية النوع وهو على الغالب يؤثّر على وظائف الاعضآء بحيث تتعذر الحياة في خارج جوف الأُمّ الا فيما ندر في احوالٍ مستثناة • وهذا الصنف على ضربين احدهما الشذوذ المفرد وهو ما كان في شخصٍ واحد والثاني الشذوذ المتعدد وهو ما كان فيما فوق الواحد

فالمفرد قد يكون صاحبهُ تامّ الخلق الاّ انهُ يكون متخاذل الاعضآء وقد تنقص بعض اعضائهِ رأسًا . فمن النوع الاول من تكون اطرافهُ في غاية القصر بحيث تكون اليدان او الرجلان كانهما خارجتان من الجذع توًّا على شكل الفقُمة ولذلك يسمى بالفقميّ . ومنهم من يكون الدماغ فيهِ

مشوّهاً غير كامل وقد يكون كلهُ أو بعضهُ موضوعاً في خارج التجويف الجمجميّ اما الى الوراء في جهة القذال او الى الاعلى في قمّة الجمجمة فيكون جدارها الاعلى غير كامل وهؤلاء يموتون على الغالب بعد مولدهم بعدّة دقائق وقد يعيشون بضعة أيام . ومن النوع الثاني من تكون بعض اطرافهم بالحجم الطبيعي ولا سيما العَضُد والفخذ وتكون الذراع والساق اشبه بجذْمةٍ وهي بقية العضو المقطوع لا كفّ لها ولا قدم لكن يكون لها اصبع او بعض أصابع ناقصة التكوين . ومنهم من يكون بغير يدين أو بغير رجلين واشهر من ذُكِر من هؤلاء دُوكُرنّاي المصوّر من أهل القرن الماضي فانهُ كان بلا يدين فكان يستخدم رجليهِ للقبض على قلم التصوير ولهُ عدّة صور مشهورة لا تزال محفوظة في بعض حواضر اوربا . وقد ورد من اشهر قليلة على هذه العاصمة فتاةٌ حلبية المولد يداها في نهاية القصر بحيث لم يكن لها الاّ قطعةٌ من ذراع بغير عَضُد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا الحجم فكانت تستخدم رجليها في الخياطة والكنس وغسل الثياب وغير ذلك وتتناول بهما آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتأكل بهما وتأخذ فنجان القهوة وكاس الماء فتشربهُ كذلك . اما بقية جسمها فكانت ذات بسطةٍ في النسآء ممتلئة الاعضآء جميلة الوجه طلقة اللسان . ومن هؤلاء من تتصل فيهم القائمتان من أعلى الى اسفل فتكونان رجلاً واحدة لكنها مزدوجة الرسم ولها قدمٌ واحدة ذات عشر اصابع وربما كان في موضع الرجلين رجلٌ واحدة في شكل وتد لا قدم لها . واما عيوب الرأس فنهم من يولد بغير فك وقد ينقص منهُ جانبٌ كبير من

الوجه . ومنهم من يكون الانف فيهم شديد الضمور او لا حجم لهُ والعينـان غير كاملتي التكوين او تكونان مرسومتين رسماً فقط قريبتين احداهما من الاخرى او مختلطتين في مكان الخط المتوسط بينهما فيكون لهما وقبٌ واحد ويكون الدماغ اصغر من المألوف وليس لهُ لفائف متميزة والجمجمة ضامرة متقـاربة الجدارين الجانبيين او متلاصقتهما وهؤلآء يولدون احيآء ولكن حياةً غير كاملة ويموتون سريعاً . وانواع الشذوذ من هذا الضرب كثيرة وغالبها يعبَّر عنهُ بالالفاظ التشريحية فنقتصر منها على هذا القدر (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

ولما رأى الوازعون والمشترعون ان كثيراً من الأُسَر تقضي ايامها في البؤس والشقآء على ما مرَّ بنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب وذلك اما لتنافرٍ سببهُ بعض الحوادث يتعذر اصلاحهُ وتلافيهِ او لاختـلاف جوهريّ في الطباع والاوضاع . اخذوا يسنُّون شرائع من شأنها ان تجعل حلاًّ لعقدة الزواج في مثل هذه الحالات تذرعًا لانقاذ أولئك المتعبين من شقآئهم ونغصهم الدائمين وأُبيح لكل من الزوجين طلب الفراق الوقتي او الطلاق البات امام المحاكم عند ما تكون لهُ اسبابٌ عادلة

وعلى هذا النمط تحولت الاحوال المعاشية والحيـاة الاجتماعية الى صورةٍ اعادت الى المرأة كثيراً من حقوقها ونقلتها من ربقة العبودية الى

منصّة السيادة والتكرمة فذاقت من رغد العيش وهنآئهِ ما لم تحلم بهِ سالفاتها في الازمنة الغابرة ولا سيما بعد ان حكم العلم والعقل ان الزواج شركة مفاوضة يُراد بها بقآء النوع والتعاون في جهاد الحياة التماس تخفيف عنآئها واستجلاب هنآئها . فكل زواج لم يتوفر فيهِ هذان الشرطان بأتم مظاهرهما وجب الغآؤهُ خلافاً للقائلين بأنهُ سرٌّ علويٌّ لا تقوى يد حاكمٍ ارضيٍّ على نقضهِ مهما انتج من العذاب والبؤس والتضاغن وغاية ما يمكن في مثل هذه الحالات الهجر الوقتي مع بقآء الرباط غير ممسوسٍ ولا منفصم

ثمَّ لما غصّت اوربا باهلها لجأ كثيرٌ منهم الى المهاجرة متفرقين في انحآء الارض وانما اختار معظمهم نصف الكرة الغربي (اميركا) للاستيطان لانهُ كثير الخيرات واسع الجنبات قليل السكان حديث العهد بالعمران وكذلك جزيرة اوستراليا التي يحسبها الجغرافيون في عداد القارات بالنظر الى اتساعها العظيم

هذا واذ كانت اميركا قد افتتحها الاسبانيول وكان القسم الشمالي منها يسوسهُ الانكليز اصبحت الولايات المتحدة طبعاً مأهولةً من هذين الجيلين اكثر من سواهما فقامت نهضة العلم والحرية في هذا القسم من الكرة قبل غيرهِ من سائر جهات اميركا الشاسعة الاطراف ومن اوستراليا ايضاً . ولما ثار الاهلون يرأسهم واشنطون العظيم طلباً للاستقلال وأصلوا الانكليز تلك الحرب التي انتهت باعتاق اعناق الاهلين من نيرحا كميهم زاد فيهم العلم انتشاراً والحرية بسطةً حتى سبقوا ارقى امم اوربا تمدناً

في تقدمهم الادبي والمادّي معاً واصبح تفوُّقهم على سائر امم البسيطة قضية مسلمة بالاجماع

فالمرأة هناك لم تعد تكتفي بالنصيب الذي نالتهُ النسآء في اوربا بل تطرقت بحكم ردّ الفعل الى طلب ما لا تصلح لهُ ولا يليق لها مما هو جدير بالرجل وخاصٌّ بهِ من مثل الاشتغال بالخطط والوظائف والدخول في جميع الصناعات والمهن على اختلاف ضروبها وتقلد السلاح والمبارزة والمناضلة بهِ وركوب الدرّاجات في الارض والمناطيد في الجوّ والطواف حول الكرة والنيابة عن الامم في ندوات حكوماتها الى غير ذلك مما اتينا على بيانهِ من قبل

ثم سرى منها هذا الروح الى اوربا حتى قيل في تعديل جرى سنة ١٨٩٠ ان في جرمانيا وحدها خمسة ملايين امرأةٍ يتعاطينَ اعمال الرجال وفي بريطانيا وارلندا اربعة ملايين وثلاثة ارباع المليون وفي فرنسا زهآء ثلاثة ملايين وربع مليون وفي ايطاليا ثلاثة ملايين وفي النمسا كذلك . اما في الولايات المتحدة وحدها فاحد عشر مليوناً

تلك أمانيُّ ومطالب ستفضي بالمرأة اذا ثابرت على مزاولتها الى حالة امازونيات[١] افريقيا اللواتي يقتلنَ الرجال ويمزقنَ لحومهم بانيابهنَّ ويشربنَ

(١) اسم نسآءٍ مقاتلات مأخوذ من اليونانية ومعنى لفظة امازون ناقصة ثدياً وذلك ان كل واحدة من امازونيات اليونان كان يقطع ثديها الايمن ليكون ذلك اعون لها على استعمال السلاح ثم سمي بهِ الاوربيون المرأة في حالة كونها ممتطيةً فرساً باللباس الخاص بالركوب ويسمى ذلك اللباس بالامازون ايضاً . يقال ان موطن

دماءهم بقحوف الجماجم وليس في ما نقول عجبٌ فان هند بنت عتبة القُرَشية بحثت عن كبد حمزة عم النبيّ (صلعم) بعد قتلهِ في وقعة أُحُد فاستخرجتها من جوفهِ ولاكتها لوكاً قصد اكلها نيئة وكانت تنقر على الدفّ اثناء الحرب امام الرجال وتتغنى مع اترابٍ لها من النسآء منشدة تحرض الابطال

ان تُقبِلوا نعانقْ　　ونفرش النمارِقْ

اوتُدبِروا نفارِقْ　　فراقَ غيرِ وامقْ

فلا بارك الله في المدنية اذا انتهت بالإناث اللواتي هنَّ بهجة الدنيا وركن العمران وفردوس تصورات الانسان الى هذا الحدّ من الخشونة والهمجية اذ يجوز عندها ان يُجزَم بصحة وجود الغول والسعلاة خلافاً لمن ينكرها في هذه الايام ويعدُّها في جملة المستحيلات

ولقد امتلأ الربع الاخير من القرن التاسع عشر جلَبةً ولغطاً وهرجاً وتمزَّقت جوانبهُ صراخاً وضجيجاً أُرسِل دويُّهُ من اطراف اميركا الى اكناف اوربا وما ذاك الا خصومات ومشاحنات قائمة على قدَم وساق في صفحات الجرائد والمجلات وفي المنتديات والمحافل وعلى رؤوس المنابر وطي بطون الاسفار والرسائل يثيرها ذلك الجنس اللطيف ـ الذي عهدناهُ بالامس

الامازونيات كان في جوار قوه قاف بآسيا ولهنَّ اخبار مشهورة لا محل لذكرها هنا .
وقد أُطلق اسم الامازونيات على جيشٍ من النسآء يتألف منهُ حرس ملك الداهومي بنواحي خط الاستوآء من افريقيا وهو يُعدُّ بالالوف وهنَّ جميعاً عبداتٌ للملك وعند الحرب يدافعنَ عنهُ مستميتات فيسفكنَ دمآءهنَّ ذوداً عن حوضهِ وصيانةً لذمارهِ ولهذا الجيش النسآئي في ميادين القتال آثار محمودة تقصر عنها فحول الابطال

ضعيفاً مقهوراً مسلوباً اسيراً لا قوة لهُ ولا حراك ولا ضمير ولا ارادة ولا سلطة ولا استقلال ـ ارادة ان يكون بعد ذلك الذل والخمول والجهل والضعة مماثلاً للجبابرة الاقدمين المرويّ عنهم في اساطير الاولين من مثل عوج بن عناق وجليات الفلسطينيين (١) وبئس الارادة هي

ان الفاضل جول سيمون اشهر عقلاء الكتبة الفرنسويين في القرن الغابر هو أول من تنبه للخطإ الفاضح الذي دبَّت سمومهُ في ادمغة وصدور نسآء هذا العصر بثورتهنَّ الجديدة هذه وما يترتب عليها اذا دامت من سقوط العمران وانحطاط نوع الانسان . وقد أنّب جهلة الرجال الذين يمالئونهنَّ على هذه الافكار السقيمة تحبباً الى بعض الغواني الرُعْن فيملأون الصحف السيّارة والاسفار والمجلات فصولاً ومقالات حشوها براهين سفسطائية يحاولون بها تصحيح مدّعاهنَّ (ستأتي البقية)

سليم عنحوري

(١) هو الجبار الذي قتلهُ داود بحجر ومقلاع اثنآء حرب شاول ملك الاسرائيليين مع الفلسطينيين . ولقد زعم كثيرون أن اسلافنا كانوا جبابرة وهم اكبر منا جسماً وأطول عمراً وأشد بأساً واكثر علماً واذا طالبتهم بالدليل جاءوك باساطير لا يؤيدها البرهان وينفيها العلم الصحيح المبني على الاستقرآء فالمدافن المصرية حفظت لنا اجساداً من البلى مرَّ عليها الوف من الاعوام فلما استخرجت رأيناها بحجم اجسادنا بل بعضها أصغر وتواريخ الملوك الاقدمين من اشوريين ومصريين وصينيّين وغيرهم وما أبقت لنا الايام من تماثيلهم لا تدل على كونهم اضخم أجساماً وأطول أعماراً ولا أوسع عقلاً واقتداراً فالعاقل من لا يجزم بصحة شيء ويقطع بهِ حتى يؤيدهُ الحس والعقل فان ناقضاه رمى بهِ عرض الحائط

الصحافة في الغرب

شأن الجرائد في أوربا وأميركا شأن سائر الامور الخطيرة فيها فالغربيون يذهبون كل مذهب ويتفننون ما يشاءون في طرق نشر جرائدهم ومجلاتهم كما لا يخفى على اكثرنا . وقد أدركت اميركا ان الصحافة فنٌّ قائمٌ بنفسهِ فانشأت لها منذ بضع سنين مدرسة خاصّة تعلّم فيها علوم اللغة على انواعها والتاريخ والسياسة والفلسفة وهلمَّ جرًّا مما لا مندوحة للصحافيّ عنهُ . ثم زادت على ذلك فرعين آخرين وهما فنّ نشر الاعلانات وفنّ التصوير الهزلي ولهذين الفرعين عندهم أهمية تفوق الوصف . وقد رأينا ان نسوق في هذا الفصل بعض ما بلغ عندهم هذان الفرعان من التفنن العجيب وما كان لهم وراء ذلك من المكاسب الطائلة الى ما لا يتصورهُ وهم وانما ذلك بفضل اقبال القرآء ورواج البضاعة الادبية عندهم خلاف ما هو عندنا على الخط المستقيم

ولا يخفى ان كلا الامرين أثرٌ من آثار الطباعة فانهُ لولا الطباعة لم يكن شيءٌ منهما ولا انتُبه الى ما يقع فيهما من التفننات المختلفة التي نراها ونسمع بها حينًا بعد آخر بل لم يكن فنّ الصحافة من أصلهِ ولا شيءٌ من منافعها الشاملة وحسبنا ان نذكر من ذلك انهُ ما انتشرت الصحافة في الربع الاول من القرن السابع عشر في انكلترا حتى صارت اعمدتها تستخدم للاغراض التجارية المختلفة ولا سيما الاعلانات بحيث انهُ لم يأتِ ختام ذلك القرن حتى اصبحت الاعلانات شغل الصحف الشاغل كما نراها الآن

ولما رأت الحكومة الانكليزية من تكاثر الاعلانات ورواج الصحف بسببها ما لم يكن في الانتظار انتهزت الفرصة لجرّ مغنم لها من جرآئها فضربت ضريبة على الاعلانات وأوجبت على اصحاب الصحف ان يلصقوا على كل نسخة من صحفهم طابعًا بقيمة زهيدة كما تفعل الحكومة العثمانية الآن

اما الضريبة على الاعلانات فكانت في سنة ١٨٣٢ ثلاثة شلنات ونصفًا عن كل اعلان سوآءٌ كان كبيراً أم صغيراً وقد بلغ دخل هذه الضريبة في ذلك العام ٦٤٩ ١٧٠ ليرة استرلينية . وفي سنة ١٨٣٣ حُطّت تلك الضريبة الى شلن ونصف في بريطانيا والى شلن واحد في ارلندا وبعد ٨ سنين أي سنة ١٨٤١ نقص دخل الحكومة من الاعلان فنزل الى ١٢٨٣٠٠ ليرة . ولكن لا يخفى على اللبيب ان هذا الدخل مع نقص الضريبة لايزال يدل على زيادة انتشار الاعلانات حتى انهُ في سنة ١٨٥١ بلغ دخل الضريبة المذكورة ١٧٥٠٩٤ليرة فتكون قد ازدادت الاعلانات الى اكثر من ضعفها . وفي سنة ١٨٤٣ ألغيت هذه الضريبة بتاتًا وكان الغآؤها بعد الغآء الطوابع على نُسَخ الصحف مما صادف ارتياح الجمهور لانهما كانتا عقبةً في سبيل انتشار الصحافة

ولا يخفى على القارئ الكريم ان الصحافة لا تستطيع ان تجري في مضمارها الحالي لولا ما تربحهُ من أُجر الاعلانات الوفيرة . فلو طرأ ما أبطل الاعلانات من الصحف لوقفت حركة الصحف حالاً ولا ندرك الآن ماذا يكون من اضطراب احوال العمران اذ ذاك وانسدال الظلمة على الهيئة الاجتماعية

وفي فرنسا ونظن انهُ في غيرها من الممالك الاوربية أيضاً يُحظَر على الطبيب ان يعلن في الجرائد محل مستوصَفهِ ونوع طبهِ أو غير ذلك مما يتعلق بصناعتهِ لان الحكومة تبتغي ان تكون مهارة الطبيب وحذاقتهُ الحقيقيتان سبب شهرة اسمهِ على السنة الناس وحسبهُ تحدث الناس بذلك اعلاناً عنهُ . والغرض من ذلك تلافي انخداع العامة بطنطنة الاطباء غير الماهرين بمهارتهم الكاذبة

وليس في وسعنا أن نُلمع الى كل القوانين التي سُنَّت بشأن الاعلانات ونشرها في الجرائِد وانما ذكرناه نموذجاً ودليلاً على تنبه حكومات أوربا لكل ما يجدُّ من فنون المدنية الحاضرة لكي تقيدهُ بقوانين تمنع التلاعب والغش

اما الطرق التي تُتخَذ لنشر الاعلانات فلا تقع تحت حصر وكل يوم يبدو منها انواع جديدة وفي هذه البلاد انواع عديدة منها نصادفها كل يوم فلا حاجة الي الالماع اليها . ومن غرائب الاعلانات في اميركا ارسال الحروف في الجوّ بواسطة النور الكهربائي بطريقة الفانوس السحري فانك اذا سرت في الشوارع ليلاً ترى في صفحة الجو حيناً بعد آخر كتابةً ضوئية عن اهم الاخبار البرقية وفي خلالها تظهر اعلانات من المحلات التجارية والشركات والفنادق والملاهي الى غير ذلك . وفي النهار ترى الطيارات فوق السطوح وقد كُتبت على ذيولها اعلانات المحلات التي تحتها . وأحياناً ترى قفصاً من الخشب تجرّهُ الخيل على عجلات أو تسير بهِ الكهربائية في الشوارع وعلى جدرانهِ الاعلانات أو ترى موكباً من

اشخاصٍ بازيآء غريبة هي اعلانات

ومن ظريف ما قرأناه عن طرق الاعلانات ان احد مخازن الملابس النسآئية الكبرى في باريس يرسل كل مدة بعد اخرى فتيات من قبلهِ الى جهات مختلفة مكتسياتٍ أثمن الحلل وأحدثها زيًّا فينزلنَ في أفخر الفنادق ويدخلنَ اكبر المجتمعات العمومية ويحضرنَ في أعظم الملاهي ويحاضرنَ السيدات النبيلات المتأنقات يفعلنَ كل ذلك لكي يشهرنَ المخزن الذي هنَّ مرسلات من قِبَلهِ

هذا ما وصل اليهِ شأن الاعلانات في الآونة الحاضرة في البلاد المتمدنة بسطناهُ دليلاً على ما اقتضاهُ العمران الحديث من الاستنباطات التي لم تلح في خاطر الغابرين ومن نشوء العظائم من صغائر الامور وسنعود الى الكلام على الصور الهزلية في مقامٍ آخر ان شآء الله

سليم عبد الاحد

الماء ووظائف الهضم

قرأنا في احدى المجلات الفرنسوية فصلاً لبعض الاطبآء يحدد فيهِ مقدار المآء الذي ينبغي شربهُ وبيان اوقاتهِ فرأينا ان نعربهُ لما فيهِ من عموم الفائدة قال

وضع بعضهم منذ سنواتٍ قانوناً خاصًّا يجرَى عليهِ في معالجة بعض الاعراض الناشئة عن تمدد المعدة وهو القانون المعروف بالقانون الجافّ لانهُ مبنيٌّ على تقليل مقدار المآء الداخل الى المعدة . وقد كان لهذا القانون

منافع لا تُنكَر اذ قلّت باستعماله الاضطرابات المَعديّة لِما أن الاطعمة اذا قلّت سوائلها كانت اسهل هضماً والمعدة اذا لم تُكسَح بافراط المآء فيها كانت وظيفتها اتمّ وافرزت المقدار الطبيعي من سوائلها الخاصّة. غير ان بعضهم قد توسع في هذا القانون لِما رأى من حسن نتائجهِ فوصفهُ في بعض الامراض التي لا حاجة معها اليهِ فافضت قلة السوائل في اصحاب تلك الامراض الى اضطراباتٍ مزعجة لقلة افراز البول واحتباس الفضلات الموكَّل بحملها الى الخارج. ولا يخفى ان الاعتدال في كل الامور اولى وهو ما يظهر انهم غفلوا عنهُ في بعض الاحوال

وبناءً على ذلك فلا بدّ ان نعتمد في الامر قانوناً عاماً يصلح الجري عليهِ في غير الحال المذكورة. وذلك ان ما يحتاج اليهِ الجسم من المآء لا ينبغي ان يكون معدّلهُ اقلّ من لترين وهذا المقدار من المآء المشروب والمآء الذي يشتمل عليهِ الطعام معاً بحيث انهُ اذا كان اقلّ من ذلك سآء افراز المواد الازوتية. ولذلك اذا لم يكن هناك قانون خاص يجب ان يكون الشرب بمقدارٍ كافٍ لكن لا بد ان يكون في الاوقات الموافقة وعلى ترتيبٍ لا يخلّ بالوظائف الهضمية. وافضل ما يُعتمد عليهِ في ذلك ان يُشرَب على الغذآء باعتدال ولا يُتجاوَز فيهِ مقدار اللزوم واما بين الوجبتين من الطعام فلا يجوز الشرب الا بعد تمام الهضم. وبهذا لا تزداد كمية الطعام في المعدة وبالتالي لا يحدث فيها تمدد ويمكن ان يتِمّ جهاز البول عملهُ على ماينبغي ويفرز البول افرازاً كاملاً. وما ذكرناهُ هنا هو المصطلَح عليهِ في اماكن المياه المعدنية حيث يُسقى المتعالج ثلاث او اربع اكؤُس من المآء او اكثر من ذلك على

الريق بل هو مما اصطلح غير المياه المعدنية ايضاً اي التي لا قوة فيها على ادرار البول فوُجد لهُ في الحالين فوائد عظيمة . ويُذكَر عن اهل الشرق انهم يشربون في حين الاكل شيئاً قليلاً ولكن بعد ان يتم الهضم يشربون مقادير كبيرة ويؤثرون الحار منها على البارد ولا ريب انهم في ذلك على صواب

وقد اختبر بعض الاطبآء مقدار مفرَز البول الصادر عن المآء المشروب على الخوَى وفي حين تناول الغذآء فاختار لذلك شخصاً سليم البنية وحرر ما يشربهُ في الحالين ثم مقدار ما يفرزهُ من البول بعد كلٍّ منهما فكان ما ظهر لهُ مثبتاً لما تقدم . وذلك انهُ شرب عند منتصف الساعة التاسعة صباحاً ٧٥٠ سنتيمتراً مكعباً من المآء فكان مقدار البول بعدها ٩٠٠ سنتيمتر . وشرب على طعام الظهر ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب فلما بلغ منتصف الساعة الثالثة لم يكن مقدار البول الا ١٢٥٠ سنتيمتراً اي اقلّ مما شربهُ . وفي منتصف الساعة الثالثة شرب ٧٥٠ سنتيمتراً فلما كانت الساعة الخامسة كان مقدار البول ١٠٥٠ سنتيمتراً . وشرب في الساعة الخامسة ٧٥٠ سنتيمتراً ايضاً فكان مقدار البول عند الساعة السابعة ٨٩٠ سنتيمتراً . وفي الساعة السابعة تناول عشآءهُ فشرب عليهِ ٧٥٠ سنتيمتراً فلما كانت الساعة التاسعة لم يزد مقدار البول على ١٥٠ سنتيمتراً

فيترتب على هذه المقادير المدققة والتي يجدها كل احد من نفسهِ كل يوم انهُ يحسن ان يؤخذ عند النهوض من النوم كأسٌ او كأسان من المآء ومثل ذلك في خلال النهار وعند المسآء اي في أوقات خلوّ المعدة وبهذا يتم فعل الكليتين بدون ان يحدث اضطراب في وظيفة المعدة . ولا حاجة

الى اشتراط ان يكون المآء صحيحاً أو ان يكون الشراب من غير الاشربة الروحية وأما على الطعام فلا يزاد المقدار على كأسين او ثلاث تؤخذ على جُرَعٍ متقطعة . انتهى

المدرسة الوطنية في حيفا

نشرنا في مجلد السنة السابقة (صفحة ١٤٤ وما يليها) رسالةً لمكاتبنا في مدينة حيفا اشار فيها الى النهضة الشريفة التي نشطت لها طائفة الروم الكاثوليك في المدينة المذكورة على أثر مارأت من استبداد اصحاب المدارس الاجنبية واعتدآئهم على حقوق الوطنيين فانشأت لنفسها مدرسةً خاصة تجمع شتات ابنآئها وتضمهم بروابط الوطنية الصحيحة . وقد جآءنا في هذه الاثنآء ان المدرسة المشار اليها قد ازدادت في هذه السنة نجاحاً واتساعاً بمعاضدة سيادة اسقف الناحية المطران غريغوريوس الحجّار الذي اشتهر بين رعاة هذه الطائفة بسعة علمهِ وعلوّ همتهِ وصدق غيرتهِ فانهُ جعلها تحت رعايتهِ وتدبيرهِ وارصد لها من امواله الخاصة ما يضمن ثباتها ويبلغ بها اقصى غايات النجاح

فنحن نهنئ هذه الفئة الكريمة من مواطنينا الاعزآء بما ادركتهُ من الفوز المجيد ونتوقع ان تكون قدوةً لغيرها في سائر البلدان التي يخفق فوقها العلَم العثماني ونثني على اريحية سيادة الاسقف المشار اليهِ آملين ان هذه المدرسة مع عنايتهِ وسداد تدبيرهِ لا تلبث ان تصبح المرجع الوحيد الذي يؤمّهُ ابنآء الوطن في تلك الناحية فينشأون فيهِ على قواعد التربية الصحيحة

ويخرجون منهُ رجالاً تتوثق بهم الجامعة العثمانية ويخدمون الوطن والدولة باخلاصٍ لا يشوبهُ ريآء والله وليّ التوفيق

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية - ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) جآء في توصية سيدنا عمر بن الخطاب لعامله على البصرة ما نصّهُ « واياك ان تسقط سقطةً لا شَوَى لها وتعثر عثرةً لا لَعا لها » فما معنى قولهِ « لا شَوَى لها » وهل للفظ « شَوَى » بالمعنى الذي يناسب هذا المقام مرادف في اللغة العربية

(٢) اشكل عليَّ بيت البحتري الشهير

مُنَى النفس في اسماء لو يستطيعها   بها وجدها من غادةٍ وولوعها

وهو مطلع اول قصيدة في ديوانهِ المطبوع بمطبعة الجوائب بالاستانة واكبر ظني ان يكون البيت محرَّفاً تحريفاً مطبعياً فما قولكم فيهِ

(٣) ما هو أصحّ ضبطٍ لاسم الفيلسوف الشهير بزرجمهر

ابراهيم بسيم
كاتب بمشيخة علمآء الاسكندرية

الجواب — اما قول الامام عمر « سقطةً لا شَوَى لها » فمعناهُ انها لا سلامة منها من قولهم رماهُ فأشواهُ اذا اصاب شَواهُ اي أحد اطرافهِ ولم يُصِب مقتلهُ والاسم من ذلك الشَوَى ايضاً ومنهُ قول الهُذَليّ

فان من القول التي لا شَوَى لها   اذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتُها

قال في لسان العرب يقول ان من القول كلمةً لا تُشوي ولكن تقتل .
وقريبٌ من الشوَى الشَرْم مصدر شَرَمَهُ اذا مزق الجلد ولم يُصِب المقتل
يقال رمى فلان الصيد فاحتقَّ بعضاً وشرَّم بعضاً اي قتل بعضها وأفلت
بعضٌ جريحاً ومن هذا قول عمرو ذي الكلب * فقلتُ خذها لا شَوَى
ولا شَرَم * الضمير من خذها للضربة قال في اللسان واراد ولا شَرْم اي
بالاسكان فحرَّك للضرورة اه . قلنا والذي عندنا ان الشَرَم مصدر شَرِم
بالكسر وهو مطاوع شَرَم بالفتح على حدّ قولهم ثَلِمَ الاناء وثَلَمتهُ انا
وتَعِس فلان وتَعَسهُ الله ونحو ذلك

وأما بيت البحتري فالاظهر انهُ لا تحريف فيهِ والضمير المرفوع في
يستطيعها للعاشق اضمر لهُ من غير ذكر وهو كثير في كلامهم . والشطر
الثاني كلامٌ مستأنف والضمير من بها لاسماء ومن وجدها وولوعها للنفس .
وقولهُ من غادةٍ تمييز جرَّهُ بمن على حدّ قول الآخر

الا يا سَنَى برقٍ على قُلَل الحمى لَهِنَّكَ من برقٍ عليَّ كريمُ

على ان البيت على كل حال لا يخلو من تكلف .

وأما ضبط اسم الفيلسوف فهو على ما ذكرهُ لنا أحد الثقات من
العارفين باللسان الفارسي بُزُرْجُمْهر بضمّاتٍ اربع وسكون الراء والميم

بقية الاسئلة والآثار الادبية في الجزء الآتي ان شاء الله

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

- ١١ -

اشتهر مورات بين فرسان فرنسا ولكنهُ كان لا يستطيع الثبات على سرج جواده واشتهر مثلهُ لاسال ولكنهُ أضاع شهرتهُ بين اللهو والكأس اما انا اتيان جيرار فكنت في سرج جوادي كقطعةٍ من الفولاذ مغروزة فيهِ وكنت لا أميل الى الشرب الا بعد موقعة أو عند لقيا رفيق قديم . وكانت هذه الصفات ولا شك تؤهلني لان اكون أعظم فارس في جيش الامبراطور وكنت اكون رقيت أعلى درجات الفخر لو ساعدني الحظ بأن ارافق الامبراطور في معاركهِ الاولى فان جميع كبار القواد ما خلا افراداً منهم حصلوا على الترقي قبل الفتح المصري ومع ذلك فقد نلت بهمتي قيادة فرقتي وحصلت على وسام الشرف الخاص الذي سلمهُ اليَّ الامبراطور نفسهُ والذي احفظهُ في الحقيبة الجلدية . ومع انني لم أرقَ درجات أعلى فلا يوجد من لا يعرف من هو جيرار من جميع الذين خدموا في الجيش معي حتى نفس الانكليز وخصوصاً الذين أسروني في اسبانيا كما اخبرتكم سابقاً . فانهم كانوا لا يجهلون مقدرتي فارسلوني الى او بورتو حيث أقاموا حولي نطاقاً من الحرس يتعذر على اي اسير بشري ان ينجو منهُ . وفي العاشر من شهر أوغسطس اخذوني في مركب نقل الى انكلترا وقبل نهاية الشهر أوصلوني الى تلك البلاد وزجوني في السجن الذي بنوهُ لنا في دارتمور والذي كنا نسميهِ الفندق الفرنسوي لانهُ لم يضم الا أبطالاً رفضوا تسليم سلاحهم واداآء قَسَم التسليم واكثرهم من رجال البحرية .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولعلكم تتعجبون من عدم اعطآئي ذلك القسم والتمتع بالحرية التي تمتع بها غيري من الاسرى غير انهُ كان لذلك سببان اولهما انني كنت واثقاً بمقدرتي فأملت ان افوز بالنجاة والثاني ان اسرتي مع كونها عريقة في النسب لم تكن غنية فلم اشأ ان اكون ثقلاً على والدتي • وفضلاً عن ذلك فانهُ كان يعزُّ عليَّ ان ارى جمال شبابي ضائعاً بين جمعيات فلاحي بريطانيا وان أُحرَم محبة ومغازلة السيدات اللواتي كنت اجذبهنَّ الى حبي ولذلك فضلت ان أدفن نفسي موقتاً في سجن دارتمور وسأخبركم كيف خلصت منهُ

اما السجن فيمكن كتابة مجلدات في وصفهِ وليس ذلك من غرضي الآن . وكان مبنيًّا في وسط بقعة قفرة وفيهِ ما بين سبعة وثمانية آلاف جندي يحرسونهُ بأتم السلاح وكان لهُ سوران وخندق وحولهُ الخفرآء والجنود. ومع ذلك فلم يمنع انتباههم هرب بعض جنودنا افراداً وازواجاً وكنا نسمع اطلاق المدفع المؤذن بذلك فنضحك في غرفنا ونصيح باعلى اصواتنا ليحيَ الامبراطور حتى يسمع رفاقنا على الشاطئ الفرنسوي . وكنت من حين وطت قدمي ارض ذلك السجن قد بدأت ادبر طريقة للخروج منهُ ولم يكن ذلك بعظيم على مهارة بطل قضى اثنتي عشرة سنة في الحروب ومقارعة الاهوال • وكانوا قد جعلونا نحن الضباط في جناح منفرد ووضعونا اثنين اثنين في كل غرفة فلم يسرني ذلك لانهُ يخالف ذوقي وكان رفيقي في غرفتي ضابطاً طويل القامة يسمى بومون وهو من رجال المدفعية اسرهُ الانكليز في استورغا وكان جامداً ساكتاً . ولما كنت لا أقابل رجلاً الا اصيرهُ صديقي بصفا كهتي ولطف حديثي حسبما تعرفون فقد جربت جهدي مع هذا الرفيق ولكنهُ لم يتبسم قط ولم يجب بكلمة واحدة بل كان يجلس وقد حدَّق بنظرهِ اليَّ حتى ظننت ان الاسر قد أفقدهُ رشادهُ ووددت لو كان معي بدلاً منهُ احد رجال فرقتي لاخلص من سكوت هذه الجثة المتحركة. ولما لم يكن في اليد حيلة جعلت اتكلم امامهُ عن وسائط النجاة وذاكرتهُ غير مرةٍ في هذا المعنى حتى ظهر لي اخيراً انهُ ابتدأ يشعر نظيري ويهتم بهذا الامر . ثم شرعت في فحص الجدران وارض الغرفة وسقفها فوجدتها في غاية

الثخانة والمتانة وكان الباب من مصراعين حديديين وقد فتحت فيهِ كوَّة صغيرة مشبكة بالحديد يمر امامها الحارس مرتين كل ليلة وينظر منها الى الداخل . اما ما في الغرفة من الاثاث فهو كرسيان وسريران وطستان للغسل فقط فلم اهتم لهذه الفاقة بعد ان قضيت اياماً في الحروب بلا فراش ولا غطآء . وظهر لي لاول وهلة ان الفرار مستحيل ولا سيما بعد ان قضيت الليلة تلو الاخرى مفكراً بدون جدوى . وقد خيل لي ان فرقتي كلها بانتظاري وان جيادهم في حالة مزرية بدون القائد جيرار الذي كان يهتمّ بها ويلاطفها فيطير رشدي وأقول لا بدَّ من الفرار وان صاحب الذكآء لا يعدم من واسطة تسهل لديهِ الصعاب

وكان لغرفتنا نافذة واحدة ضيقة لا يكاد يمرّ منها طفل وفي وسطها قضيب حديدي غليظ فظهر لي ان لا أمل لنا الا في تلك النافذة اذا صممنا على الفرار غير أنا لسوء الحظ رأينا بعد البحث انها تفضي الى الدار الخارجية التي تتمرن فيها الجنود . ولكنني لم ايأس بل اخذت قطعة حديدية من سريري وجعلت اعالج بها الحائط المغروز فيهِ القضيب الحديدي فقضيت ثلاث ساعات في العمل ثم سمعت وقع أقدام الحارس فاسرعت الى سريري ونمت الى ان أتم دورتهُ فعدت الى العمل ثلاث ساعات أخرى . وهكذا لبثت مواظباً على ذلك غير متكل على رفيقي بومون لانني وجدتهُ كسلاً بطيء الحركة وكنت أتصور ان رجال الهوسار بطبولهم وأبواقهم ينتظرون ظهوري فيعيرني ذلك قوة جديدة فاعمل بجنون حتى تدمى اصابعي . ولم أزل كذلك عدة ليالٍ وأنا اخفي ما انزعهُ من الحائط ضمن مخدتي حتى شعرت اخيراً ان القضيب الحديدي يتخلخل في مكانهِ فجمعت قواي وجذبتهُ بعنفٍ فخرج من الحائط . وهكذا خطوت اول خطوةٍ الى الحرية لانني للحال اعتبرت القضيب المذكور كمخلٍ أتمكن بهِ من نزع حجر آخر لتوسيع النافذة وكسلاح ادافع بهِ عن نفسي اذا فاجأني طارئ . وفي نهاية ثلاثة اسابيع تمكنت من نزع الحجر واصبحت النافذة كافية لمروري ولا حاجة ان اصف لكم ما أخذني اذ ذاك من السرور استبشاراً بالفوز . ولا تعجبوا من عدم ملاحظة الحرس ذلك لانني كنت في

النهار اردّ كل شيء الى مكانهِ فيعود كانهُ لم يكن • وكان موعد القمر ان يغيب بعد ثلاث ليالٍ فيساعدنا الظلام على مفارقة ذلك السجن المخيف فجعلت افكر في كيف يجب ان نسير متى خرجنا من الغرفة لانني خفت ان يشعر بي احد فأعود ثانيةً الى السجن ويزجوني في مطابق تحت الارض يوضع فيها من يحاول الفرار . وكان السور الاول الذي يجب ان نتسلقهُ من الآجرّ علوهُ اثنتي عشرة قدماً وفي اعلاهُ قضبان حديدية متلازّة • وكان السور الخارجي نظيرهُ وبينهما فسحة تزيد عن عشرين قدماً • وتحققت عدم وجود الخفرآء الا عند الابواب ووجود حلقة من العساكر حول السور الخارجي . هذه كانت حالتي ايها الاصدقآء وليس لي ما يسهلها لديّ سوى هذا الرأس وهاتين اليدين • وكنت معتمداً على طول قامة رفيقي بومون فخطر لي ان أقف على اكتافهِ فأصل الى أعلى السور ثم آخذ بيدهِ فأجذبهُ اليّ لان معتقدي ان لا أترك رفيقاً لي في خطر ولو تسهلت لي اسباب النجاة فاني أفضل ان اعود الى الاسر ثانيةً وأنا معهُ من ان أنطلق وحدي وأغادرهُ • اما بومون فلم تظهر عليهِ علامات الاهتمام مما جعلني أعتقد انهُ واثق بقوتهِ • وكنت قد راقبت اطوار الحراس فوجدت ان بعضاً منهم يقفون في حراستهم بأتمّ الانتباه حتى لا يمرّ جرذ على بعد منهم الا يعرفون بهِ وآخرين ينزوون الى جانب الحائط فينامون مسندين رؤوسهم الى بنادقهم كانهم على اسرّتهم • وكان بين هؤلآء واحدٌ راقبتهُ مراراً فوجدتهُ ينام كل مدة حراستهِ وكنت أرميهِ بعض الاحيان بقطع من الحجر أو التراب فلم يكن ينتبه قط ولمزيد الحظ والتوفيق وجدت ان ستكون نوبة حراسة هذا الاخير في الليلة التي عينتها لهربنا . فلما جآء اليوم المعين كان شديداً عليّ لاني لم أستطع ضبط نفسي من الفرح فكنت أطوف في غرفة سجني قلقاً لا أستقر في مكان حتى خشيت ان يلاحظ سجاني ذلك . أما رفيقي فكان كعادتهِ صامتاً ينظر اليّ تارةً وطوراً الى الارض فاقتربت منهُ وقلت لهُ تشجع يا هذا فانك سترى فرقتك قبل نهاية شهر من الآن . قال حسن ولكن في أي طريق تذهب متى خرجت من هنا • قلت اذهب الى الشاطئ بدون تردد وألتمس هناك

زورقاً يوصلني الى فرنسا . قال أراهُ يوصلك الى مطابق سجن بورتسموث . فلم تعجبني ملاحظتهُ وقلت لهُ على الجندي أن يبذل جهدهُ ويرجو الخير اما السوء فلا يبشّر بهِ الا الجبان . فصُبغت وجنتاهُ بلون أحمر وكانت هذه المرة الاولى التي بانت عليهِ فيها علامات الشعور . أما انا فاحتقرتهُ وقلت لعلي اضرّ فرقتهُ اذا سعيت باعادتهِ اليها

ولم ارَ في حياتي اطول من ذلك النهار حتى اذا انقضى وهجمت جيوش الظلام هبت زوبعة هائلة وريح شديدة فنظرت من النافذة واذا بظلام حالك لا يظهر فيهِ سوى السواد المدلهمّ . وكان الريح والمطر يمنعاني من سماع وقع اقدام الحرس فما صدّقت ان مرَّ بنا السجان كعادتهِ حتى عمدت الى النافذة فنزعت الحجر والقضيب الحديدي واشرت الى رفيقي ان يخرج فابى قائلاً انهُ يفضل ان يخرج بعدي . ولما كان الوقت لا يسمح لنا باضاعتهِ في المجاملات جذبت نفسي الى النافذة وابتدأت اخرج منها كما تخرج الحية من جحرها فما خرج نصفي حتى شعرت برفيقي قابضاً على ساقيَّ من وراء بيد من حديد وجعل ينادي باعلى صوتهِ المعونة ! المعونة ! اليَّ ! اليَّ ! ان سجيناً يحاول الفرار

وكيف اصف لكم ما شعرت بهِ حينئذٍ وقد علمت ان ذلك الخائن انما فعل ذلك راجياً ان يعفو عنهُ الانكليز لانهُ ارشدهم الى فراري فيذهب الى مكانهِ آمناً وقد اشترى حريتهُ بدمي . وكنت من اول وهلة لم تعجبني هيئتهُ غير انني لم اظنهُ في هذه الدرجة من الخيانة والدناءة لان الانسان الذي قضى حياتهُ مثلي بين علية القوم واشراف الناس لا يمكنهُ ان يظن السوء باحد . اما هو فلم يعلم انهُ جلب على نفسهِ خطراً اشد مما يستطيع ان يتصور لانني انسلت راجعاً من النافذة و باسرع من لمح البصر قبضت على عنقهِ باليد الواحدة وضربتهُ بالاخرى بالقضيب الحديدي على رأسهِ ضربتين فقط . فلما سقطت عليهِ الضربة الاولى خرج من فيهِ صوت اشبه بصوت الكلب الصغير اذا دست على مخالبهِ وعند الثانية سقط الى الارض بأنَّةٍ عميقة . اما انا فجلست على سريري منتظراً ما يكون وراء ذلك فمرت الدقيقة

الاولى والثانية والثالثة ولم اسمع شيئاً سوى غطيط ذلك اللعين المطروح على الارض وعلمت ان العاصفة منعت من وصول صياحهِ ولم ينتبه احد الى ما جرى . فارتاحت نفسي ومسحت العرق البارد الذي كان يكلل جبهتي وجعلت افكر في ما يجب ان افعلهُ حينئذٍ وتراءى لي ان اول وأهمّ عمل ينبغي ان اقوم بهِ هو الاجهاز على ذلك الخائن مخافة ان يعود الى رشادهِ قبل ان ابتعد وينبههم الى ادراكي . ولما كنت لا استطيع ان اوقد نوراً جثوت على ركبتيَّ وجعلت اتلمس حتى عثرت على رأسهِ فرفعت القضيب الحديدي وجمعت قوتي لاجهز عليهِ بضربةٍ واحدة ولكن . . . شعرت باحساس غريب استوقفني لانني وان اكن قد قتلت كثيرين في المعارك الحربية لم يطاوعني قلبي على قتل هذا اللئيم وهو بين يديَّ لا يبدي حراكاً ولا يدافع عن نفسهِ . فاخذت ملاءة سريرهِ ومزقت قطعةً منها ووضعتها في فيهِ لامنعهُ عن الكلام ثم شددتهُ بالباقي لامنعهُ من الحركة وتحققت اذ ذاك انهُ لن يؤذيني بعدُ حين يأتي الحرس في الدورة الثانية . وكنت كما اسلفت معتمداً على طولهِ في تسلق السور اما الآن فلم يبقَ اعتمادي الا على نفسي فاخذت ملاءة سريري وصنعت منها حبلاً ربطت طرفهُ الواحد في منتصف القضيب الحديدي وانسلت من النافذة الى الدار الخارجية بتمام الاحتراس والسكون . ولما بلغت السور رميت بالقضيب الحديدي الى اعلاهُ فعلق من المرة الاولى بالقضبان المغروزة فيهِ فسررت جدًّا وتسلقت بمعونة الحبل الى اعلى السور ثم جذبتهُ اليَّ ودليتهُ الى الجانب الآخر وهممت بالنزول فلمع امامي شيء عرفتهُ للحال انهُ حربة بندقية الخفير . فارتعشت لحظةً وحدّثتني نفسي ان اضربهُ على رأسهِ واميتهُ قبل ان يعلم بي ولكنني ما عتمت ان سمعتهُ يلعن الوحدة والبرد ثم رفع بندقيتهُ على كتفهِ وسار الى حدود حراستهِ . فاغتنمت تلك الفرصة وتدليت الى الارض ثم اسرعت الى السور الآخر ففعلت كذلك وما ادركت رجلايَ خارج السور حتى جعلت اجري في ذلك القفر كالنعام الجافل تارةً اسقط في الحفر وطوراً اقع بين الشوك والعلّيق حتى تمزقت ثيابي وسال الدم من يديَّ ووجهي . ولما كان اكثر الفارّين يتوجهون توًّا الى الشاطئ فيتبعونهم ويلقون عليهم القبض

وكنت قد قلت لرفيقي اننا نتوجه الى الشاطئ رأيت من الحكمة اذ ذاك ان اغير الخطة فجعلت وجهتي شمالاً الى الداخلية . ولما تلاشت قواي من شدة الجري رأيت امامي نورين صغيرين متقاربين عرفت انهما مصباحا عربة واقفة في الطريق العمومية . فوقفت لا ادري ماذا افعل وقد خشيت ان ينمّ ثوبي العسكري عليَّ فانبطحت على الارض وجعلت ازحف حتى اقتربت من المركبة فوجدت ان احدى عجلاتها مكسورة والسائق فتىً واقف بجانب الجياد وفي المركبة فتاةٌ لم أرَ اجمل منها . ثم سمعتها تقول للسائق بصوت حزين ما العمل يا هذا واني لاخشى ان يكون السير شارلس قد تاه في الظلام فهل نصرف ليلتنا هنا . فلم اتمالك ان انتصبت للحال امامها وقلت هل يمكنني ان اخدمكِ بشيء يا مولاتي وكان جمالها الرائع وما علمت من تضايقها قد انسياني ما انا فيهِ وحركا فيَّ دم المروءة والشهامة . فلما وقع نظرها على ثيابي الممزقة ووجهي الدامي خافت فصرخت ووقف السائق مبهوتاً ولكنها ما عتمت ان رأت من كيفية وقوفي امامها وانحنآئي لديها انني لست من الرعاع فملكت روعها وقالت بعد ان شكرتني لما عرضتهُ اننا آتون من تافستوك وقد انكسرت عجلة المركبة هنا فذهب زوجي ليحضر مركبة اخرى ولم يعد واخاف ان يكون قد تاه عن الطريق في هذا الظلام . وقبل ان اجيبها رأيت بجانبها ردآء كبيراً فوضعت يدي عليهِ وقلت اظن يا مولاتي ان هذا الردآء يخص زوجكِ ولا اشك في انكِ تعذرينني اذا كنت مضطرًا ان . . . واكملت كلامي بسحب الردآء من العربة الى يدي . فنظرت اليَّ بتعجب وخوف وقالت ظننتك اتيت لمساعدتي لا لسرقتي وقد دلت هيئتك على رجل شريف لا على لص دنيء . فقلت وقد صعد الدم الى وجهي لا تحكمي عليَّ يا مولاتي قبل ان تعرفي ما يضطرني الى فعل ذلك ولكنني اعدكِ اذا اعلمتني باسم هذا السعيد الحاصل عليكِ انني اردّهُ اليه سالماً بعد ان اقضي حاجتي منهُ . فتبسمت قليلاً وقالت اما زوجي فهو السير شارلس مرديث وهو ذاهب الى سجن دارتمور بمهمة من قبل الحكومة فارجو منك ان تذهب في طريقك وان لا تأخذ شيئاً مما يخصهُ . قلت انني لا اشتهي مما يخصهُ الا شيئاً واحداً هو انت .

فضحكت حتى بانت نواجذها وقالت خلِّ عنك المزاح واترك الرداء في مكانهِ . وقبل ان اجيبها سمعت اصواتاً عن بعد تتخلل صوت المطر والريح ثم لمع امامي نور مصباح فعلمت ان زوجها قد عاد مع بعض الرجال ليساعدوهُ في جرّ المركبة . فقلت لها اعذريني يا سيدتي فاني مضطر ان اتركك الآن ولكن اكّدي لزوجكِ انني اعيد اليهِ رداءَهُ في اول فرصة . ومع انني كنت في سرعة شديدة اخذت يدها لاقبلها فجذبتها مني بعنف ووثبتُ وثبةً واحدة فاختفيت في الظلام وجعلت اعدو بمنتهى قوتي الباقية حاملاً الرداء وقد رأيت فيهِ وسيلة لنجاتي . وكنت عند خروجي من السجن قد توجهت شمالاً مستدلاًّ بهبوب الريح فلما بعدت عن المركبة وقفت ريثما تبينت جهة مهبها فاستقبلتهُ واستأنفت الجرى حتى سقطت منهوك القوى وبقيت الى ان ملكت شيئاً من قوتي ثم عدت الى الجري وانا مصمم على الابتعاد ما امكن عن السجن قبل بزوغ الصباح . وبلغت مكاناً محاطاً بالعوسج تربتهُ ليّنة حبب اليَّ الاستراحة فجلست لاستريح وما كدت اجلس قليلاً حتى استولى عليَّ سلطان النوم فنمت لكن نوماً مزعجاً ذا احلام هائلة رأيت في آخرها انني عدت الى فرقتي فسرّوا بنجاتي ولما قصصت عليهم حديثي هتفوا جميعاً بصوت واحد ليحيَ الامبراطور . فأفقت مرعوباً ونظرت الى ما حولي فسمعت حقيقةً ذلك الصوت ليحيَ الامبراطور مندفعاً من اكثر من خمسة آلاف فم فكدت افقد عقلي لدى سماعي ذلك الهتاف وانا في تمام اليقظة . ولبثت متحيراً في سبب ذلك الى ان لاح الفجر فرأيت امامي بناية كبيرة جدًّا عرفتها للحال انها سجن دارتمور . وذلك انني لما تركت المركبة وجعلت اعدو مستقبلاً الريح وكان قد تغير مهبها كانت النتيجة انني سرت راجعاً الى حيث بدأت بالهرب ووجدت نفسي في المكان الذي قضيت كل تلك المشاق للابتعاد عنهُ وعلمت ان ذلك الصوت الذي سمعتهُ كان صوت الاسرى المسجونين فيهِ . وكانت المصائب التي مرّت عليَّ قد علمتني ان لا استسلم الى اليأس فتبسمت لعودتي الى قرب السجن وقلت لعلّ في ذلك حكمة اجهلها بل تحققت ان قرب السجن هو المحل الوحيد الذي لا يبحث عني الحراس

فيهِ. فالتففت بالردآء وجلست بين العوسج واخذت من جيبي بعض الخبز الذي كنت قد وفّرتهُ من طعامي في اليومين السابقين وبحثت في جيوب الردآء فوجدت فيها زجاجة فيها من افخر الكنياك ومنديلاً حريريًّا وعلبة سعوط ورسالة في ظرف ازرق اللون مكتوب عليهِ اسم حاكم سجن دارتمور فعزمت ان اشرب الكنياك وان ارجع الزجاجة والمنديل والعلبة الى صاحبها . اما الرسالة فحرت في امرها لان حاكم السجن كان يظهر لي شديد اللطف فلم اشأ ان اتداخل في مراسلاتهِ وخطر لي ان ارمي بها الى حديقة السجن ولكن خفت ان يدلهم ذلك على محل وجودي فارجعتها الى جيبي . واقمت نهاري مختفياً بين العوسج ونمت نوماً طويلاً لاتمكن من المسير في الليلة التالية . فلما اقبل المسآء نهضت وسرت مهتدياً بالنجوم حتى ابتعدت نحو ثماني غلوات عن السجن . وكنت افكر في كيفية الحصول على ثوب اتنكر بهِ لانني رأيت ان الردآء لا يفيدني ما دام ثوبي العسكري ظاهراً من تحتهِ . ولما لاح فجر اليوم الثاني رأيت نهراً عن يميني وقريةً صغيرة عن يساري فتركتهما وتقدمت شمالاً حتى بلغت عند منتصف النهار الى وادٍ بين جبلين فيهِ كوخ منفرد لا يجاورهُ شيء من البناء . وعنّ لي ان اجد فيهِ مطلوبي فجعلت اقترب اليهِ باحتراس تارةً اختفي ورآء الاعشاب وطوراً ازحف على بطني الى ان صرت على مقربةٍ منهُ واذا بفتىً قد خرج وورآءهُ رجل متقدم في السن يحمل قطعتين من الخشب دفعهما الى الفتى فجعل هذا يديرهما في يديهِ بخفةٍ غريبة والرجل يلاحظهُ ويفهمهُ كيف يفعل ثم اعطاهُ حبلاً فجعل يديرهُ ويثب فوقهُ فتعجبت من ذلك واعتقدت ان الفتى عليل والرجل طبيب يمرنهُ على بعض الحركات الرياضية . وبعد هنيهةٍ دفع الرجل الى الفتى ردآء ثقيلاً فلبسهُ ولاح لي ان الامر قد انتهى ثم رأيت الرجل قد عاد الى الكوخ واما الفتى فجعل يعدو بمنتهى قوتهِ وكان مسيرهُ الى الناحية التي كنت فيها فسرّني ذلك جدًّا وتأهبت لملاقاتهِ واخذ ثيابهِ وادراك الغاية التي اسعى اليها . ولم يزل الفتى يقترب عدواً والعرق يتحلب من جسمهِ حتى صار امامي فوقفت وقلت لهُ اسمح لي يا سيدي ان اطلب منك هذه الثياب التي عليك لاني في حاجة اليها.

فنظر اليَّ بدهشةٍ وقال اعطيك ثيابي؟ ولماذا . ألأنك فرنسوي هارب من السجن وتريد ان تتنكر بها . ولكنك لا تعرفني فانا المصارع الشهير الذي تراهن مدينة بريستول على مقدرتي وهذا الكوخ هو المحل الذي اتمرن فيهِ وهذه يدي ارفعك بها واجلد بك الارض فأراك ميتاً قبل ان اعطيك ثيابي . اما انا فنظرت اليهِ بتبسم الازدراء وقلت قد تكون كما تقول ولكنك لو عرفت ان الذي يطلب ثيابك هو الكولونيل جيرار لما تأخرت دقيقة واحدة عن تسليمها صاغراً . ولما قلت ذلك اقتربت منهُ بغيظ وقلت انزع ثيابك في الحال . فكان جوابهُ ان نزع الرداء الثقيل ووقف امامي بعظمة وقد هيأ ذراعهُ اليسرى للدفاع واليمنى للهجوم كما هي عادة الانكليز في الملاكمة . ولما كنت لا اعرف شيئاً من طريقة هذه المبارزة ولم اشأ ان اظهر امامهُ جهلي صممت ان ابغتهُ وللحال هجمت عليهِ ووثبت في الهوآء ورفستهُ بقدميَّ معاً بقوة شديدة وفي اقل من لمح البصر ضربني بقبضتهِ على رأسي فسقطت الى الارض كأن كرة مدفع اصابتني فلمعت امام عينيَّ شهب الالم اكثر مما رأيت في معركة اوسترليتز وغبت عن الوجود

ولما أفقت وجدت نفسي في الكوخ على سرير من الهشيم وشعرت بورم في رأسي وقد وضعوا عليهِ خرقةً مبلولةً بالخل ورأيت في الجانب الآخر خصمي جالساً وقد عرَّى ركبتهُ والرجل جاثٍ امامهُ يدلكها بسائلٍ وهو ينتهر الفتى ويؤنبهُ وسمعتهُ يقول لهُ انني منذ شهر امرّنك وقد أخذت على نفسي عهدة ترشيحك للمصارعة القادمة التي قرب موعدها فتدفع بنفسك الى مثل ما فعلت لتضيع ما تعبنا شهراً في الاستعداد لهُ مع اضاعة الوف من الليرات على المراهنين فانهُ ان لم تشفَ ركبتك قبل يوم الاربعاء القادم فقدنا كل شيء . فقال الفتى هل نسيت يا استاذ انني بطل تسع عشرة مبارزة والوحيد في قدرتي وهل تظن انني احتمل مثل هذا الفرنسوي وطلبهُ مني ثيابي . فقال الرجل كان يمكنك ان تستعين بالخفر الذين لا يبعدون عنا كثيراً ولا تعرّض نفسك لمشاجرتهِ بل ما هي قيمة ثيابك لو أعطيتهُ اياها بازاء خمسة آلاف الليرة التي راهن عليك بها اللورد رفتون . نعم انك أول مصارع ولكن هل تظن

ان الفرنسويين يفهمون ذلك أو يعرفون كيف يحاربون • وعند سماعي ذلك لم أملك السكوت فجلست على سريري وقلت لهما يا صاحبيَّ لو كان الفرنسويون لا يعرفون كيف يحاربون لما ربطوا جيادهم في اكثر عواصم اوربا وأصبحوا امام لندن التي سيدخلونها قريباً ان شآء الله ولكننا نحن نحارب كالفرسان ولا نحارب مثلكم كمناطحة الثيران • فنظر اليَّ الرجل باشمئزاز وقال اهنئك يا هذا انك لا تزال حيًّا ولكن يظهر ان جمجمتك غريبة الثخانة حتى لم تكسرها ضربة اشهر مصارع في بريستول وكنت أود ان يفوَّض اليَّ تدريبك على المصارعة لانني اعتقد انك كنت تكون من أبرع المصارعين غير اني اتأسف انك لا بدَّ ان ترجع الى السجن . فلم يعجبني ما قفَّى بهِ اخيراً وقلت لهُ بل اؤمل انك تدعني امضي في سبيلي . قال يصعب عليَّ اجابة طلبك ولا سيما وقد فُرِض عشرون ليرة لمن يقبض على سجين هارب . ومع ذلك فقد رأيت بالقرب من هذا المكان شرذمة من الفرسان لا شك انهم يسعون في طلبك فان لم أفز بالجائزة انا فازوا هم • فجمد الدم في عروقي ثم قلت لهُ ان كان غرضك من امساكي الحصول على الجائزة فأنا أعدك انني ارسل اليك العشرين ليرة مضاعفة حال بلوغي فرنسا • فانغض الرجل رأسهُ علامة الإبآء ولم تأتِ توسلاتي وتضرعاتي بأقل فائدة • فلما رأيت ذلك خطر لي ان أتهددهما بنفس الشرّ الذي يخافانهِ وللحال وثبت الى احدى القطع الخشبية الثقيلة التي كان يتمرن بها الفتى فأخذتها بيدي وقلت لهُ اذاً لن يصارع تلميذك في الاسبوع القادم فسأمنعهُ بضربة من هذه الخشبة مهما جرى بعد ذلك • ولما سمع الفتى كلامي هاج وحاول مصادمتي فهجم عليهِ الرجل واجلسهُ بالرغم عنهُ قائلاً لا لا • لا اريد ان نخسر الرهان من اجل هذا الوغد الفرنسوي • وكان ذلك ما انتظرهُ فتركتهما يتجادلان وخرجت مسلحاً بالخشبة وانا افكر فيما عسى ان يكون مستقبل امري بعد ما قاسيتهُ من الالم والجوع والتعب واظن انني فعلت غاية ما يمكن الانسان ان يفعلهُ • ولكنني ما بلغت باب الكوخ حتى رايت امامي ستة• فرسان وفي طليعتهم حاكم سجن دارتمور نفسهُ فشعرت ان الارض تدور تحت قدميَّ وحاوات النطق

فلم استطع اليهِ سبيلاً • ونظر اليَّ الحاكم فقال ها قد وجدناك يا حضرة الكولونيل بعد البحث الطويل

ولا يخفى ان الشجاع مثلي اذا استفرغ جهدهُ في المقاومة ولم يفز فما عليهِ الا ان يظهر شرف نفسهِ بالطريقة التي يخضع فيها لفوز خصمهِ . فصمتُّ لحظةً ثم تناولت من جيب الرداء الرسالة المعنونة باسم الحاكم وسلمتها اليهِ بكل احترام قائلاً ان سوء حظي اعترض في سبيل ايصال هذه الرسالة اليك • فنظر اليَّ معجباً بطريقة كلامي ثم اخذ الرسالة ففض ختمها وتلاها فظهرت على وجههِ علامات التعجب وقال هذه الرسالة على ما اظن هي نفس التي ذكرها لي السير شارلس مرديث وقد قال لي انها فقدت منهُ • قلت نعم يا مولاي فانها كانت في جيب ردآئهِ الذي استعرتهُ موقتاً • قال وقد بقيت معك يومين ولم تطلع على ما فيها • فأظهرت لهُ انني ارفع من ان يظن بي ذلك • اما هو فقهقه ضاحكاً وقال ياحضرة الكولونيل قد اتعبت نفسك وحملتنا من التعب ما كنا جميعاً في غنًى عنهُ فاسمع ما جآء في الرسالة ثم قرا ما يأتي

« عند وصول هذا الامر الى يدكم اطلقوا سراح الكولونيل اتيان جيرار السجين من فرقة الهوسار الثالثة لانهُ قد افتُدي بابدالهِ بالكولونيل ماسون الذي كان مسجوناً في ڤردن في اسر الفرنسويين »

وكان يقرأ ويضحك حتى ضحك الفرسان ايضاً وضحك الفتى والرجل اللذان كانا قد اقترنا بليريا ما الخبر فلم يبقَ عليَّ الا ان استند الى الحائط واضحك مثلهم • ولكن شتان بين ضحكي وضحكهم فانهم انما كانوا يضحكون لامرٍ بسيط هو الذي اضحكني ايضاً ولكن بقي هناك ما لم يشعروا بهِ معي وهو انني تصوَّرت امام عينيَّ حريتي وفرنسا العزيزة ووالدتي المحبوبة والامبراطور ورجال فرقتي واليقين التام بأنني قد نجوت من سجن دارتمور نجاةً لا رجوع اليهِ بعدها